القراءاتُ القرآنيةُ
عندَ الدكتور محمد حسين الصغير رحمه الله

م.د. مؤمل جواد خليفة
كلية التربية / جامعة الكوفة

Qur'anic readings by Dr. Muhammad Hussein Al-Saghir
may God Almighty have mercy on him

Asst.Dr. Moamel Jawad Khalifa
Teaching at the College of Education/University of Kufa
Email: moamelj.khaleefah@uokufa.edu.iq

ملخص البحث

يحاول الباحث تسليط الضوء على منهج الدكتور الصغير في التعامل مع القراءات القرآنية، وهذا الأمر يسهم في بيان رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام القائل : بالتمييز بين القرآن الكريم "النص الإلهي" والقراءات القرآنية "النص البشري".

وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الإشكاليات المعرفية التي تكوّن بمجموعها فرضيات البحث ومن أبزها :

١- ما رأي الدكتور الصغير في مسألة الأحرف السبعة؟

٢- كيف تعامل مع دراسات المستشرقين النقدية للقراءات.

٣- هل وظف القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري؟

٤- ما المنهج الذي اتبعه في التعامل مع القراءات.

وفي سبيل ذلك اعتمد البحث المنهج التحليلي باستعراض الآراء ، ومناقشتها وترجيح ما هو صحيح بحسب الأدلة اللازمة للترجيح .

يمكن تلخيص أبرز نتائج البحث بالنقاط التالية:

١- رصد البحث أنّ الدكتور الصغير يُرجِعُ جُزءا كبيرا من اختلاف القراءات الى الخط المصحفي القديم، باعتباره محتملا للنطق بوجوه متعددة.

٢- انكشفَ للبحث عدم قبول الدكتور الصغير بالرأي القائل بارتباط الأحرف السبع بالقراءات القرآنية.

٣- ظهر للبحث أنَّ منهج الدكتور في عرض القراءات هو الابتداء باتفاق السبعة واختلافهم ، ثمّ يذكر القراءة الشاذة إن وجدت ، ويذكر بعدها ترجيح علماء الإمامية لأحد القراءات-إن توفر-.

٤- تبين للبحث أنّه يذكر رأيه وترجيحه للقراءة فيما رجح عنده ، ويتوقف عن بيانه

رأيه إذا لم تظهر عنده الحجة في ذلك

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، الدكتور الصغير، منهج الدكتور الصغير في القراءات، القراءات عند الشيعة .

Abstract

The researcher attempts to shed light on Dr. Al-Saghir's approach in dealing with Qur'anic readings, and this matter contributes to clarifying the opinion of the Ahl al-Bayt school, peace be upon them, which stipulates the distinction between the Holy Qur'an, "the divine text," and Qur'anic readings, "the human text."

This study attempts to answer a group of cognitive problems that together constitute the research hypotheses, the most important of which are:

1- What is Dr. Al-Saghir's opinion on the issue of the seven letters?

2- How did he deal with the Orientalists' critical studies of readings?

3- Did he employ Qur'anic readings in directing the interpretive meaning?

4- What approach do you follow in dealing with the readings?

For this purpose, the research adopted the analytical method by reviewing opinions, discussing them, and weighting what is correct according to the evidence necessary for weighting.

The most prominent results of the research can be summarized in the following points:

1-The research observed that Dr. Al-Saghir attributes a large part of the differences in readings to the old Qur'anic script, as it

is possible to pronounce it in multiple ways.

2-The research revealed that Dr. Al-Saghir did not accept the opinion that the seven letters are linked to Qur'anic readings.

3-The research revealed that the doctor's method in presenting the readings is to start with the agreement and disagreement of the seven, then mention the irregular reading if any, and then mention the Imami scholars' preference for one of the readings - if available -.

4-The research revealed that he states his opinion and preference for the reading in what he thinks is preferable, and he stops stating his opinion if the evidence for that does not appear to him.

Keywords: Qur'anic readings , Doctor Al-Saghir , Doctor Al-Saghir's approach to dealing with readings , Shiite readings.

المقدمة

تصنف مسألة تعدد قراءات النّص القرآني كواحدة من أكثر النقاط جدلية في تاريخ التّعامل مع النّص القرآني عند المستشرقين و المحدثين ؛ والسبب في ذلك يعود الى البون الشاسع في الحكم عليها عند المسلمين، فإنّ بعض المذاهب الإسلامية تتعامل مع القراءات بنظرة الوحي نفسها، والتساوي في المرتبة مع آيات القرآن الكريم، والقسم الآخر منهم يميز بين الوحي الإلهي ، والنّصوص القِرائية، الأمر الذي تجسد في القول بوحي القرآن وبشرية القراءات، وفي هذا السياق يحاول البحث النّظر في آراء الدكتور محمد حسين الصغير ﷾ في مجال القراءات القرآنية عِبر استقراء آرائه المبثوثة في مؤلفاته المطبوعة.

ولقد وفقني الله تعالى لأكون أحد تلاميذ الدكتور الصغير في مرحلة الدكتوراه في درس التفسير، فكانت هذه المشاركة البحثية من باب الوفاء للأستاذ ، والسعي في اظهار جهد علماء الامامية في خدمة القرآن الكريم.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة ، والإشكاليات المعرفية التي تكوّن بمجموعها فرضيات البحث ومن أهمها:

١- ما رأي الدكتور الصغير في مسألة الأحرف السبعة؟

٢- كيف تعامل مع دراسات المستشرقين النقدية للقراءات.

٣- هل وظف القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري؟

٤- ما المنهج الذي اتبعه في التعامل مع القراءات.

إنّ الهدف العام من الدراسة تسليط الضوء على منهج الدكتور الصغير في التعامل مع القراءات القرآنية، وهذا الأمر يسهم في بيان رأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام القائل : بالتمييز بين القرآن الكريم "النص الإلهي" والقراءات القرآنية "النص البشري".

وفي سبيل ذلك اعتمد البحث منهج استعراض الآراء، والأقوال مشفوعةً بأدلتها وبراهينها ، ومناقشتها وترجيح ما هو صحيح بحسب الأدلة اللازمة للترجيح، ولا يدَّعي

الباحث أنّه جمع كلّ ما يتعلق بالموضوع في هذه المدة القصيرة نسبيًا فهذه طبيعة الإنسان مطلقًا.

وقد انتظم البحث في مطلبين انطوت في داخلهما نقاط عدة :

فالمطلب الأول : كان تحت عنوان نشأة القراءات عند الدكتور الصغير، وتضمن أمرين أساسيين هما: (رأيه في أحاديث الاحرف السبعة،تعامله مع الدراسات الاستشراقية النقدية)، أمّا المطلب الثاني فكان بعنوان التفسير والقراءات في فكر الدكتور الصغير وتضمن أمرين هما: (اتجاهات التّعامل مع القراءات والتفسير، منهج الدكتور الصغير في التعامل مع القراءات).

ولم يخلُ البحث من صعوبات واجهته، منها: سعة المؤلفات المطبوعة للدكتور الصغير، بدءًا بموسوعته لعلوم القرآن، وانتهاءً بالتفسير المنهجي للقرآن العظيم التي وصلت الى الثلاثة عشر جزءًا في نسختها الأخيرة، ما جعل رحلة البحث تتطلب وقتًا في قراءة المؤلفات قراءة فاحصة دقيقة عن كل آرائه في مسألة القراءات القرآنية.

وفيما يتعلق بأهم المصادر والمراجع التّي اُعتمدت في الكتابة ، فقد تنوعت مواضيعها لتشتمل على ماكتبه الدكتور الصغير في مؤلفاته القرآنية، مع الاعتماد على عيون تفاسير الإمَامِيّة القديمة والمعاصرة، وكذا أهم كتب حديث الإمَامِيّة ، فضلًا عن المصادر الحديثية للمدارس الأُخر، وأُمّهات كتب علوم القرآن وتأريخه، وكتب التّأريخ، وكتب المعجمات واللغة ، والفنون الأُخر التّي ترتبط بموضوع الدّراسة.

وقبل الختام أُقَدِم الشُّكر محفوفًا بكلماتِ الثّناء للأيدي البيضاء التي أسهمت في إظهار التراث العظيم لعلماء مدرسة الإمامية فعند الله جزاؤهم ومنه المثوبة.

وكُلّي أملٌ أن يكون هذا العمل اليسير ذخرًا وشفيعًا يوم المحشر ، وسبيلًا إلى بيان مقام علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت إليه أُنيب وهو حسبي أولًا وآخرًا.

المطلب الأول

(نشأة القراءات عند الدكتور الصغير)

أولًا: رأيه في أحاديث الأحرف السبعة

إنّ التباين الحاصل في مجموع روايات الأحرف السبعة ، هو أساس الاختلاف في تحديد معناها، ولا عجب أن تكون الأقوال فيها على نحو أربعين قولا، وفق استقراء السيوطي في الإتقان [١] ، إذ (لم يأت في معنى هذه السبع نصّ ولا أثر، واختلف النّاس في تعيينها) [٢]، وعند النّظر في مجموع روايات الأحرف السبعة نرى إنّ هناك عددًا ليس بالقليل يشير من بعيد أو قريب الى وجود علاقة بين هذه الأحرف من جهة ، وأوجه القراءة المختلفة للنص القرآني من جهة أخرى[٣].

وقد ناقش الدكتور الصغير دلالة حديث الأحرف السبعة في سياق ردّه على القائلين بتفنيد موقع الكتابة المصحفية في تعدد القراءات ، وقد توصل الى حقيقة الرفض لربط أحاديث الأحرف السبعة بتعدد القراءات ، فيقول (ولكننا نبقى مصرين أنّ وجهة التعميم في الروايات تبقى هي المسيطرة، وعدم وضوح الرؤية يظل مخيما، إذ أننا نحتاج بمثل هذا الموضوع الخطير إلى الجزئيات والدقائق ؛ لنضع النقاط على الحروف، ولهذا نرفض جملة هذه الروايات، ونتهم أصحابها، كما اتهمهم من سبقنا إلى الموضوع)[٤].

ويمكن تلخيص ردّه لحديث الأحرف السبعة بالنقاط التالية:

١- إنّ المسلمين إلى اليوم لم يصلوا إلى مؤدى هذه الرواية، ولا يمكن أن يحتج بغير الواضح، فما زال الخلاف قائما في معنى هذا الحديث وترجمته، على أنّه معارض بحديث إنزال القرآن على حرف واحد.

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن،السيوطي،١/ ١٦٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن ،الزركشي،١/ ٢١٢.
(٣) ينظر: القراءات المنسوبة لائمة أهل البيت وآثارها(رسالة ماجستير)،مؤمل جواد كاظم ، ٢٧.
(٤) تاريخ القرآن ، ١٠٠

٢- لا دلالة في هذه الحروف السبعة على القراءات السبعة إطلاقا، وإذا كان القرآن قد نزل على سبعة أحرف، فالإنزال - حينئذ - توقيفي، ووجب على اللهّ تعالى حفظه وصيانته؛ لأنّه ذِكر، والذِّكر قرآن ، والقرآن مصان لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

٣- لم يتفق المفسرون بل المسلمون على المعنى المراد من هذه الأحرف ، ولا يصح الاحتجاج بما لا يفهم معناه، ولا يقطع بمؤداه، إذ هو احتجاج بما لا يعرف ، وأخذ بما لا يراد ، واعتماد على ما لا يبين ، والالتزام بهذا باطل دون ريب .

٤- إذا كانت الأحرف السبعة منزلة من قبل اللهّ تعالى بوساطة الوحي الذي أوحاه الروح الأمين جبرائيل عليه السّلام، فمعنى ذلك أنّها من القرآن الإلهي، وإلّا فمن التشريع الإلهي الذي لا يرد ، ولا ينقض إلا أن ينسخ، وما ادعى أحد بنسخ ذلك من القائلين به.

٥- قد يقال - مع عدم وضوح الدلالة - أنّ هذه الأحرف مما خفف به عن الأمة ؛ لوجود الشيخ والصبي والعجوز وما إلى ذلك ، كما في بعض الروايات، وإذا كان ذلك مما خفف به عن الأمة ، فكيف يجوز لأحد أن يشدد عليها ، وإذا كان ذلك للرحمة فكيف صح لعثمان أن يتجاوز هذه الرحمة ، ويجمع المسلمين على حرف واحد ، ثم ما عدا مما بدا ؟ فإن كان في المسلمين الأوائل من يعجز عن تلاوة القرآن حق تلاوته ، أو أن ينطق به كما نزل فتجوّز بالأحرف السبعة تيسيرا ، وهم أبلغ العرب ، فما بال المسلمين في عصر عثمان ، وما ذنبنا نحن في هذا العصر الذي انطمست به خصائص العربية حتى شدد علينا في حرف واحد.

٦- إن الروايات القائلة باختلاف القراءات في عهد النبي صلّى اللهّ عليه وآله وسلّم لا تستند إلى حقيقة تأريخية معينة يصرح فيها بنوعية هذا الاختلاف في القراءة ، ولا تعطينا نماذج مقنعة بكيفية هذه القراءات المختلفة ، وتنسب الاختلاف إلى النبي ﷺ، وكأنه مصدر من مصادر الفرقة في القراءات بينما العكس هو الصحيح ، مما يجعلها روايات قابلة للشك ،

ومع حسن الظن بالرواة فإنّ رواياتهم تلك قد تعبر عن السهو والاشتباه .

٧- الضعف السندي لروايات الاحرف السبعة ،ومما ذكره مثالا ما روي عن زيد بن أرقم ، قال : كنا معه في المسجد فحدثنا ساعة ، ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبي بن كعب ، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ- قال : وعلي ﷺ إلى جنبه - فقال علي ﷺ: ليقرأ كل انسان كما علم ، كل حسن جميل) [١] وقد ذكر الطبري هذه الرواية ، وتعقبه الأستاذ أحمد محمد شاكر في تعليقه فقال : (هذا حديث لا أصل له ، رواه رجل كذاب ، هو " عيسى بن قرطاس " ، قال فيه ابن معين : " ضعيف ليس بشيء ، لا يحل لأحد أن يروى عنه " ، وقال ابن حبان: " يروى الموضوعات عن الثقات، لا يحل الاحتجاج به"، وقد اخترع هذا الكذاب شيخًا له روى عنه، وسماه " زيد القصار " ! لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكرًا في شيء من المراجع)[٢]، وبعد هذا، فليس هناك مسوغ على الإطلاق أن نأخذ بكل رواية على علاتها دون تمحيص ، ودون تجويز الافتراء على الضعفاء من الرواة .

٨- قال الإمام محمد الباقر ﷺ : " إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة " ، وورد عن الفضل بن يسار قال : قلت لأبي عبد اللهّ ﷺ (يعني الإمام جعفر الصادق ﷺ) : إنّ الناس يقولون : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال : كذبوا، أعداء اللهّ [٣].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري،١ / ٢٦
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تاريخ القرآن، محمد حسين علي الصغير، ٩٧-١٠٠

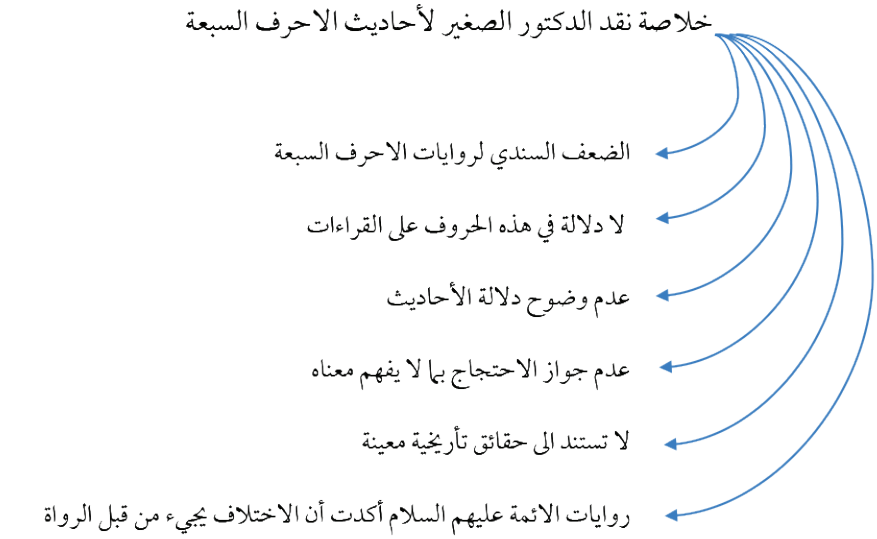

ثانيًا: تعامله مع الدراسات الاستشراقية النقدية

أعادت البحوث والدراسات الاستشراقية جدلية القراءات في الساحة الإسلامية من جديد ، وبطريقة مغايرة لما درسه الباحثون الإسلاميون ، فكانت محاولات المستشرقين إعادة قراءة رسم المصاحف القديمة ، وروايات القراءات وفق منهج تجاهل علم الرجال والجرح والتعديل.

إنّ دراسات المستشرقين الخاصة بالقراءات حاولت إثبات الملازمة بين التعدد القِرائي والنص القرآني ؛ بهدف ترجيح القول ببشرية النص القرآني ، ثم تذويب ورفع صفة الوحي عن القرآن الكريم، لكن هذه الدراسات تجاهلت في الوقت ذاته موقف مدرسة الامامية القائل بالتفريق بين وحيّ النص القرآني وبشرية التعدد القِرائي.

ومن جانب اخر فإنّ الدراسات الاستشراقية سلطت الضوء على جوانب بحثية كانت تحت خط الممنوع والمسكوت عنه في الدراسات القِرائية ، ومن باب الإنصاف فإنّ بعض دراساتهم لم تخلُ من التحليل القائم على أساس من المنطق والأدلة الواقعية.

وقد استعرض الدكتور الصغير في كتابه "تاريخ القرآن" آراء المستشرقين في مسألة القراءات ،فابتدأ براي المستشرق المجري جولد تسيهر(١٩٢١م) الذي يرى أنّ تجرد المصحف من النقط ، وفقدان الشكل عاملًا مهمًا في نشأة القسم الأكبر من القراءات، كما صرَّح في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي قائلا : ((والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره الى خاصية الخط العربي فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، وعدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي جعل للكلمة حالات مختلفة كانت السبب الأول في ظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن))[١]، فالقسم الأكبر من القراءات يرجع في ظهورها إلى خاصية الخط العربي غير المنقوط والمشكول وفق رأي تسيهر، ثم ذكر رأي المستشرق الألماني كارل بروكلمان (١٩٥٦م) ، وتأييده تسيهر في أثر الكتابة في تعدد القراءات حينما قال في كتابه تاريخ الادب العربي:((حقًّا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال ، مجالًا لبعض الاختلاف في القراءة ، لا سيما إذا كانت غير كاملة النقط ، ولا مشتملة على رسوم الحركات ، فاشتغل القرّاء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافها))[٢]، وقد أكد بروكلمان هذا المعنى فيما بعد قائلاً: " جمع عثمان المسلمين على نص قرآني موحد ، وهذا النص الذي لم يكن كاملا في شكله ونقطه ، كان سببا في إيجاد اختلافات كثيرة ، ولذلك ظهرت عدة مدارس في بعض مدن الدولة الإسلامية ، وبخاصة في مكة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، استمرت كل منها في رواية طريقة للقراءة والنطق ، معتمدة في ذلك على أحد الشيوخ . . . ولقد تبين على مر الزمن أنّ الدقة في الرواية الشفوية ، التي كانت مرعية في بادئ الأمر ، لا يمكن اتباعها دائما بسبب عدد من الأشياء الصغيرة التي وجب المحافظة عليها))[٣]، وتبعهم في هذا الرأي المستشرق آرثر جفري(١٩٥٩م) في مقدمته لكتاب المصاحف للسجستاني ، وضرب

(١) مذاهب التفسير الإسلامي،جولد تسيهر ، ٨.
(٢) تأريخ الادب العربي ،كارل بروكلمان ، ١/ ١٤٠.
(٣) تأريخ الادب العربي ،كارل بروكلمان ، ١/٤.

مثلًا لذلك: قوله تعالى "بِعِلْمِهِ" قال: (كان يقرأها الواحد " يُعَلِّمُهُ "، والآخر " نُعَلِّمُهُ " أو " تُعَلِمُهُ " أو " بِعِلْمِهِ " إلخ على حسب تأويله للآية)[1].

إنّ ما ذهب إليه رواد مدرسة الاستشراق اعتمد فيما يبدو -ظاهرًا- على نظرية الاستقراء والمقارنة بين القراءات ورسم الخط العربي وتطوره، وهو ما يظهر من مراجعة بعض ما استدلوا به ، ففي قوله تعالى ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ سورة البقرة: ٥٤ ، قرأ قتادة (ت١١٧هـ) " فأقيلوا أنفسكم " بالياء لا بالتاء بمعنى: حققوا الرجوع والتوبة من فعلكم المشين وعبادتكم العجل بالندم . ويرى تسيهر أنّ هذه القراءة دليل يوضح أثر الخط في تعدد القراءات، يقول: ((وقد رأى قتادة أنّ الأمر بقتل النفس ، أو قتل العصاة في قوله تعالى ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُم﴾ هو من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل، فقرأ " فأقيلوا أنفسكم " أي حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم، وفي هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سببا أدى إلى القراءة المخالفة))[2] ، وعند الآية الرابعة والتسعون من سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ ، يقول تسهير ((فبدلاً من(فتبينوا) قرأ جماعة من ثقات القُراء: (فتثبتوا) والهيكل المرسوم يحتمل قراءتين))[3]

لقد شكلت الآراء التي تبناها المستشرقون في نشأة القراءات موجة انتقادٍ لاذع من مدرسة الإخباريين السنّة، فالرأي السائد عندهم أنّ القراءات تعددت من النبي ﷺ وما قرأه الصحابة كان مشفوعًا بالإذن الشرعي للتعدد ومن ثمّ لا مجال للنقاش عندهم في تعدد القراءات وأسبابها.

وقد بيَّن الدكتور الصغير أنّ آراء المستشرقين قد حظيت بالتباين في المدرسة الإسلامية بين مؤيد وناقد، وأغلب الناقدين لهذا الرأي اعتمدوا على الموروث الروائي الذي يربط بين مسألة إباحة تعدد القراءات ، ومسألة الأحرف السبعة، ومن ثمّ لا قيمة للأدلة المساقة تأييدًا

(١) مقدمة كتاب المصاحف ،آرثر جفري ، ٧٠
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ، جولد تسيهر- ترجمة : عبد الحليم النجار ، ٥
(٣) المصدر السابق ، ١١ .

للّهجات ، والمراحل التي مرّ بها تطور الخط فهي عندهم أمور لا ترتبط بتعدد القراءات.

وممن رفض القول بأثر الرسم المصحفي في تعدد القراءات الدكتور عبد الوهاب حمودة في كتابه القراءات واللهجات ، فيقول : (هذا الرأي خطأ من أساسه، فإنّ القراءات كما تقدم، رويت، وتدوولت، وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف ،...، ثمّ حين دُونت المصاحف لم يكن النقط عرف ولا الشكل اخترع، فظهرت حركة القراءات قبل النقط والضبط،...،فكانت قراءتهم للكلمة على حسب ما يروون وينقلون، لا على حسب ما يقرءون في المصاحف)[١].

وقد ردّ الدكتور الصغير هذا الرأي فقال : (لو كان الأمر كذلك لما كانت موافقة خط المصحف أساسا لقراءات عدة، وميزانا للرضا والقبول والاعتبار، وما ذلك إلا لتحكم الخط بالقراءة ، ولا نريد أن نتطرف فنحكم بأنّ خط المصحف هو السبب الأول والأخير في تفرع القراءات القرآنية ، ولكن نرى أنّ جزءا كبيرا من اختلاف القراءات قد نشأ عن خط المصحف القديم ، باعتباره محتملا للنطق بوجوه متعددة)[٢] .

انّ الرأي الذي ذهب اليه الدكتور الصغير ﷺ في أثر رسم المصحف في تعدد القراءات لم يكن رأيًا منفردًا بل كان مؤيدا بما ذهب اليه ابن الجزري (٨٣٣هـ) حينما قال : " ثمَّ كثر الاختلاف أيضا فيما يحتمله الرسم ، وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد المسلمين تلاوته فوضعوه من عند أنفسهم وفاقا لبدعتهم . . . رأى المسلمون أنّ يجمعوا على قراءات أئمة ثقات تجردوا للقيام بالقرآن العظيم)[٣] ،

وقد نقل ابن حجر في سبب تعدد القراءات خلو المصاحف من النقط والشكل الاكر الذي أدى الى تعدد القراءات فيما يحتمله رسم المصحف ، قال في فتح الباري : (قال ابن أبي هاشم إنّ السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أنّ الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية

(١) القراءات واللهجات،عبد الوهاب حموده ، ١٨٣

(٢) تاريخ القرآن ، ٩٨.

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين،ابن الجزري ، ١/ ٢٣.

من النقط والشكل قال فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة ؛ لمّا رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار)[١]، وفيما نقله ابن حجر دلالة على الاثر التاريخي للخط العربي في خلق مساحة للتعدد القِرائي في الفترة الأولى، ومن ثمّ جرت المحاولات للتضيق على تلك المساحة وحصر القراءات المقبولة بما وافق الرسم ، وهو أمر اسهم في اخراج عدد كبير من القراءات المخالفة للرسم ، ولكن الامر الذي لايقبل الشك أنَّ تلك المحاولات لم تمنع التعدد في القراءة بل ضيقت الدائرة بما وافق خط المصحف.

وقد ذهب السيد الخوئي الى أنّ السبب الذي من أجله اختلف القُرّاء في قراءاتهم هو خلو المصاحف المرسلة إلى الجهات من النقط والشكل مستدلًا بما نقله ابن حجر عن ابن أبي هاشم[٢].

وأيَّد الدكتور جواد علي في بحثه الموسوم لهجة القرآن الرأي القائل بالأصل الاجتهادي للقراءات ، مناقشًا ماورد من المرويات التي تحاول اثبات إلهية القراءات المتعددة[٣] ، وتبعه صلاح الدين المنجد في كتابه دراسات في تاريخ الخط العربي حينما شخَّص وفق مطالعته للمصاحف القديمة أثر رسم المصحف في تعدد القراءات قائلًا (وقد أدى خلو المصاحف الأم من النقط أنّ بعض الألفاظ كان يقرأ على أكثر من وجه)[٤] .

وفي سبيل التوليف بين الآراء السالفة حاول الدكتور الصغير الخروج بنتيجة مفادها أنّ الاختلاف في القراءة كان شائعًا قبل توحيد المصاحف، وبعد التوحيد مضى أغلب ذلك الاختلاف، وبقي الخط المكتوب عاملا لنشوء قسم آخر من القراءات، يقول في هذا الصدد:

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٩ / ٢٨.
(٢) ينظر: البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي ، ١٦٥.
(٣) ينظر: لهجة القرآن الكريم ،جواد علي ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي ،العدد ١، ١ مارس ١٩٥٤، ٢٧٠-٢٨١.
(٤) دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي، صلاح الدين المنجد ، ٤٢.

(لقد كان الاختلاف في القراءة شائعا، فأراد النص التدويني للمصحف العثماني، قطع ذلك الاختلاف، فكان سبيلا إلى التوحيد، وهذا لا يمانع أن ينشأ بعد هذا التوحيد بعض الخلاف الذي جاء اجتهادا في أصول الخط المكتوب، فنشأ عنه قسم من القراءات)[١].

المطلب الثاني

التفسير والقراءات في فكر الدكتور الصغير

أولاً: اتجاهات التّعامل مع القراءات والتفسير

يحدد الدكتور الصغير مسار نشوء القراءات القرآنية باتجاهين:

الاتجاه الأول: مسارٌ اجتهادي: ويذهب أصحاب هذا الرأي الى القول بأنّ القراءات مصدرها اجتهادي لتجرد المصحف العثماني عن الشكل والنقط والإعجام، فبدا محتمل النطق بأحد الحروف المتشابهة في وجوه مختلفة، فنشأت نتيجة ذلك القراءات المتعددة للوصول إلى حقيقة التلفظ بتلك الألفاظ المكتوبة، ضبطا لقراءة القرآن على وجه الصحة وكما نزل، وفي هذا الضوء تكون القراءات القرآنية اجتهادية فيما احتمل موافقته للصحة من جهة الرسم القرآني أو العربية[٢].

الاتجاه الثاني: مسارٌ تواتري: ويذهب أصحاب هذا الرأي الى القول بأنّ مصدرَ القراءات هو التوصل بالرواية المسندة القطعية المرفوعة إلى رسول الله ﷺ في كيفية القراءة القرآنية إلى النطق بآيات القرآن الكريم كما نطقها، وكما نزلت عليه وحيا من اللهّ تعالى، بغض النظر عن كتابة المصحف الشريف، وإذا كان الأمر كذلك، وتحققت هذه الطرق بالأسانيد الصحيحة الثابتة، فالقراءات متواترة وليست اجتهادية[٣].

وانطلاقا من هذين الاتجاهين يرى الدكتور الصغير أنّ التفسير والقراءات تربطهما أواصر متعددة من ناحية ارتباطهما بالقرآن الكريم ،الذي نزل بلسان عربي مبين، فالقراءات

(١) تاريخ القرآن ، ٩٦.
(٢) ينظر: تاريخ القرآن، محمد حسين الصغير ، ٩٥.
(٣) ينظر: المصدر السابق ، ٩٥.

أحد علوم اللغة العربية التي يستند عليها المفسر في النصوص القرآنية ، ومن هذا المنطلق ذهب الى القول بصلاحية اللغة كمصدر تفسيري غني يتوصل فيه عادة – بانضمامه الى المصدرين النقلي والعقلي– إلى فهم مراد الله تعالى من كلامه في كتابه العزيز[١] ، وحجته في ذلك ما تعارف لدى المفسرين من استنادهم على اللغة في كثير من النصوص القرآنية فيقول : (إنّ المفسرين بصورة عامة قد استندوا على اللغة في كثير من النصوص القرآنية ، فبحثوا القراءة والحجة والأعراب والأصوات ، والتصريف وعلل النحو ، كما خاضوا في تفصيلات اللغة المنسجمة مع بلاغة القرآن من مجاز وكناية واستعارة ، وتشبيه وتمثيل مما يسهل فهم القرآن ، وكان هذا الأمر متداولا فيما بينهم منذ نشأة التفسير في أحضان علم الحديث حتى تطورهِ وتجددهِ في القرون المتأخرة والعصر الحاضر)[٢]، واذا كانت القراءات جزءً من علوم اللغة العربية فهي مرتبطة بلغة القرآن الكريم والعكس صحيح ، وفي هذا يقول الدكتور الصغير: (يبدو للباحث أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة ، وأثر اللغة في ضبط القرآن ، وتحيل النحو الصدارة في هذا المقام من بين علوم اللغة فارتبط بالقرآن من حيث صحة القراءة وشذوذها ، واتصل بعلم القراءات المختلفة ووجوه تصحيحها ورفضها ، فكان دوره المهم في بيان موقع مفردات القرآن ، مضاهيا بل متفوقا على دور اللغة في التأصيل والاشتقاق ، وقد حققا معا علاقات النظم القرآني ، وأصول التأليف في ربط ما تقدم من الآيات بما تأخر وبالعكس)[٣].

وفي مقام مناقشة رأي الدكتور الصغير فإنّ القراءات لارتباطها باجتهاد القراء ، كانت كاشفة عن المعنى الذي قصده القارئ لا المعنى الذي أراده الله من كلامه في القرآن الكريم، فيكون عندئذ المعنى الظاهر من القراءة هو تفسير للقراءة الاجتهادية لا تفسير للقرآن المنزل، ولا رابط بين القول بجواز القراءة بالقراءات وجواز استنباط الحكم منها، وهذا هو رأي أغلب علماء الإمَامِيّة .

(١) ينظر:المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين الصغير ، ٧٨
(٢) المصدر نفسه ، ٧٨.
(٣)المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، ٥٢

يقول الشيخ الآخوند الخراساني(١٣٢٩هـ): "انّ الاختلاف في القراءة بما يوجب الاختلاف في الظهور مثل "يطهرن" بالتّشديد والتّخفيف يوجب الإخلال بجواز التّمسّك والاستدلال ...، وإنّما الثابت جواز القراءة بها ، ولا ملازمة بينهما- أي : بين جواز القراءة وجواز الاستدلال بها[١]- كما لا يخفى "[٢]،والذي يظهر من كلام الآخوند نفي التلازم بين جواز القراءة بالقراءات القرآنية ، وحجيتها في استنباط الحكم الشرعي ؛ لأنّ الاختلاف في القراءة لما كان مؤديًا في بعضه الى اختلاف الحكم الظّاهر من النّص القرآني ، كان ذلك ناقضا لدعوى التّمسك و الاستدلال بالقرآن.

ويظهر من كلام السّيد أبو الحسن الأصفهاني(١٣٨٥هـ) ضرورة التّفرقة بين إجازة قراءة القراءات القرآنية وجواز الاستدلال بها فيقول: "لم يثبت جواز الاستدلال بتمام تلك القراءات وإن ثبت جواز القراءة بها"[٣].

وفي سياق حديثه عن الرّوايات الأمرة بالقراءة المشهورة بين النّاس ، يقول الشيخ محمد طاهر آل ياسين (١٤٠٠هـ):" وأمّا عن الأخبار الآمرة بالقراءة كما يقرأ النّاس فغاية ما يستفاد منها هو جواز القراءة بالقراءات السّبع وغيرها ، ولا ملازمة بين جواز القراءة بالقراءات وبين جواز الاستدلال بها "[٤].

وفي معرض كلامه عن حجية الاستدلال بالقراءات على الحكم الشرعي ، يُثَبِّت السيد الخوئي (١٤١٣هـ) ما ذكره أعلام الإمَامِيّة في عدم حجية القراءات في الاستدلال على الحكم الشرعي ، فيقول: "ولكنّ الحق عدم حجية هذه القراءات فلا يستدل بها على الحكم الشّرعي"[٥].

(١) تعليقة الشيخ عباس علي الزارعي السبزواري على كفاية الأصول ، ٢/ ٢٩٥.
(٢) كفاية الأصول، محمد كاظم الآخوند الخراساني ، ٢٨٥.
(٣) وسيلة الوصول الى حقائق الأصول، تقرير بحث السيد أبو الحسن الأصفهاني، الميرزا حسن السيادتي السبزواي(١٣٨٥هـ) ، ٤٨٥.
(٤) بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، محمد طاهر آل ياسين ، ٥/ ٢٤٨.
(٥) البيان في تفسير القرآن، الخوئي ، ١٦٤.

وقد أجرى الدكتور الصغير استقراءً لآراء علماء المسلمين في هذه المسألة في كتابه المبادئ العامة لتفسير القرآن وتوصل الى أنّ المفسرين في تعاملهم مع القراءات والتفسير قد ذهبوا في اتجاهين هما:

الاتجاه الأول: توسعة دائرة التفسير في الاصطلاح ليشتمل على جميع فنون علوم القرآن الكريم وبضمنها القراءات ، وقد ذَكَر في هذا الاتجاه جملة من الأعلام وهم: الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) ، والزركشي (ت : ٧٩٤ هـ) ، و السيوطي (ت : ٩١١ هـ).

وفي سبيل التمثيل لهذا الاتجاه ذكر رأي الشيخ الطوسي في أنّ التفسير:(يجتمع على جميع فنون علم القرآن، من القراءة، والمعاني والاعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين)[١] ، ثم قال شارحًا: (فما أبان المعنى ، وكشف المراد ، وتحدث عن الأغراض وتناول مباحث القراءة والمعاني والإعراب ، والمتشابه ، وأجاب عن شبهات المبطلين ، يعتبر تفسيرا عند الطوسي)[٢].

ويرى البحث أنّ الأستاذ الدكتور الصغير جانب الصواب في عدّ الزركشي متابعًا لرأي الشيخ الطوسي القائل باشتمال التفسير على جميع فنون علوم القرآن، ولعله أراد أن يجعله من مؤيدي الاتجاه الثاني – الاتي ذكره – فوقع الاشتباه في ذلك ، فالزركشي يرى علم القراءات بمثابة المقدمات لدرك التفسير ، ومن ثمّ فهي ليست التفسير بل هي أحد العلوم التي تعين على معرفته ، وهو ما يتضح من تعريف الزركشي للتفسير بأنّه: (علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيانوأصول الفقه والقراءات...)[٣] فالزركشي جعل علم القراءات من العلوم التي يستمد منها التفسير، والفرق بين مقدمات الشيء وأصله واضح.

(١) تفسير التبيان، الشيخ الطوسي ،١ / ٢.
(٢) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم ، ١٨.
(٣) البرهان، الزركشي ، ١/ ١٣.

ومما يؤيد ما ذهب اليه البحث أنّ الدكتور الصغير تعقب تعريف الزركشي قائلا: (فالزركشي هنا ومن تابعه قد حمل آداب المفسر وشروطه في التفسير ، وسعة معارفه وإدراكه على الحد الاصطلاحي ، بل تجاوز إلى مصادر التفسير في اللغة والنحو ، وجعل التفسير شاملا لجملة من علوم القرآن ، والاحكام والشريعة ، فهو يتكلم عن التفسير ويريد لوازمه من الإحاطة والتخصص ، ومعرفة طائفة من العلوم التي يعرف بها التفسير وليست هي التفسير)[١]

الاتجاه الثاني: الاقتصار على الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها، إفرادا وتركيبا ،فالقراءات عندهم من متعلقات علم التفسير التي يتوصل فيها اليه [٢].

وممن ذكرهم الصغير في هذا الاتجاه أبا حيان الأندلسي(٧٤٥هـ) الذي عرّف التفسير بأنّه :(علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، و مدلولاتها ، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وتتمات لذلك)[٣]، وفي شرحه للتعريف قال الصغير : (فأبو حيّان ذهب إلى متعلقات علم التفسير التي يتوصل فيها إليه ، فأشار إلى علم القراءات...)[٤].

وقد اشترط السيوطي أن يكون المفسر جامعا للعلوم التي يحتاج اليها المفسر، فمن فسّر القرآن بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه، وإذا فسرها مع حصولها لم يكن كذلك، ومن هذه العلوم هو: علم القراءات ؛ لأنّ به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض [٥].

ثانيًا : منهج الدكتور الصغير في التعامل مع القراءات

حاول البحث معرفة منهج الدكتور الصغير في التعامل مع القراءات عبر استقراء

(١) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، ١٨
(٢) ينظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن ، ١٨
(٣) البحر المحيط في التفسير،أبو حيان الاندلسي، ١ / ٢٦
(٤) المبادئ العامة لتفسير القرآن ، ١٩.
(٥)ينظر: الإتقان ،السيوطي ، ٢/ ٤٥٠.

أجزاء التفسير المنهجي بنسختها الأحدث ذات الثلاثة عشر جزءًا وكانت النتائج التالية:

١- يستعرض تعدد القراءات ، و يذكر ترجيح علماء الإمامية -إن توفر- لأحد القراءات : ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى ﴿مَٰلِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ فإنه ابتدأ باستعراض آراء القرّاء السّبعة ، وبعض شواذ القراءات ثمّ رجَّح منها قراءَتي (ملك ومالك) ، وبعد ذلك ذكر ترجيح السيد السبزواري لقراءة (مالك)[١] ،فالسيد السّبزواري يرى أنّ المالكية تشمل ملكية الأجزاء والجزئيات بخلاف (ملك) فإنّ الملكية تعني السيطرة على الكل ، وإنّ قراءة مالك أوفق بالعرف [٢].

وفي محاولة التوفيق بين الآراء بيّن الصغير أنّ مادة الملك على العموم تطلق ويراد بها الاستيلاء والاستيعاب فيقول : (ومع هذا الترجيح والشائع من القراءة ، فإنّ المادة بعامة تطلق ويراد بها الاستيلاء ، واستيعاب المالكية لجميع الجزئيات ، والإحاطة المطلقة الاستغراقية لجميع حيثيات الخلق والإبداع والإنشاء ، وفيها دليل بالملازمة أنّه مالك الدنيا والدين معا ؛ لأنّ من ملك يوم الدين ملك الدنيا من باب أولى ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ وقوله تعالى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، فيشمل عموم أنواع الملك المحسوسة والملموسة والمجردة ، الكائنة والمتخيلة ، والمدركة وغير المدركة ، الدنيوية والأخروية، في العوالم كافة ، بدلالة المطابقة)[٣] ، وعند قوله تعالى ﴿ هُذَا يُمدِدكُم رَبُّكُم بِخَمسَةِ ءَالَٰف مِّنَ ٱلـمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ، بيّن أن كلمة ﴿ مُسَوِّمِينَ﴾ قرأها ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم بكسر الواو، وقرأ الباقون بفتحها ، ثمّ ذكر ترجيح الشيخ الطوسي لقراءة الكسر [٤] ، ونقل عبارة الشيخ من تفسير التبيان (والقراءة بالكسر أقوى ؛ لأنّ الأخبار وردت بأنّهم سوموا خيلهم بعلامة جعلوها عليها) [٥]. وعند الاية ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمرَهُم بَينَهُم زُبُرًا ﴾ سورة المؤمنون: ٥٣

(١) ينظر: التفسير المنهجي للقرآن العظيم ، ١ / ٤٤.
(٢) ينظر: مواهب الرحمن،السبزواري ، ١ / ٣٣.
(٣) التفسير المنهجي ، الدكتور الصغير، / ١ ٤٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢ / ٣٢٨.
(٥) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢ / ٥٨٠

بيّن أنّ كلمة ﴿ زُبُرًا﴾ قد قرأها ابن عامر بفتح الباء من ﴿ زُبُرًا﴾ فهو جمع زُبْرَة ، ثمّ ذكر أنّ السيد الطباطبائي قد رجَّحَ هذه القراءة [١] ، والسيد الطباطبائي في تفسيره أورد قراءة ابن عامر ، ورجّحها اعتمادًا على معناها فقال: (والمعنى وتفرقوا في أمرهم جماعات وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون وهي أرجح)[٢] .

٢- يذكر رأيه وترجيحه للقراءة فيما رُجّح عنده وفق الأدلة ، ويلاحظ في ذلك ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ سِحرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾ سورة القصص: ٤٨ ، فإنّه ذكر رأي مجاهد بأنّ المقصود هما موسى وهارون ، ثمّ ذكر رأي ابن عباس بأنّ المقصود موسى ومحمد ﷺ ، ثمّ بيّن أنّ رأيهما اعتمادا على من قرأ (ساحران) بالألف أما من قرأ (سِحرَانِ) فإنه أراد القرآن والتوراة وهو الراجح عنده رحمه الله تعالى ، قال (ومن قرأ "سِحرَانِ" أراد القرآن والتوراة، وهو ما نميل إليه)[٣].

٣- يتوقف عن ذكر رأيه في القراءة ترجيحًا ، أو تضعيفًا فيما لا يظهر لديه حجة راجحة؛ ويظهر ذلك فيما نقله عند قوله تعالى : ﴿وَيَعلَمُ مَا تُخفُونَ وَمَا تُعلِنُونَ﴾ سورة النمل: ٢٥ ، إذ ذكر معاني القراءتين بالتاء والياء ، ثمّ ذكر ترجيح السيد الطباطبائي للقراءة بياء المخاطبة، ولم يبدِ رأيه في الترجيح مكتفيًا بالقول (والله العالم)، يقول: (يعلم سرّكم وعلانيتكم معًا ، هذا لمن قرأ بالتاء وجعله للمخاطبين، ومن قرأ بالياء فللغائبين وقد نسب الطباطبائيّ للأكثرين القراءة بالياء، وهو الأرجح عنده والله العالم) [٤] .

٤- يذكر المعنى المقصود لكل قراءة ثمّ يرجّح المعنى الذي تحتمله احدى القراءتين ، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿يَرَونَهُم مِّثلَيهِم﴾ لمن قرأ بالياء (يرونهم) ، فإنّ معنى القراءة يحتمل وجهين الأول: يرى المسلمون المشركين مثلي عدد أنفسهم ، قللهم الله في أعينهم حتى رأوهم ستمائة وستة وعشرين رجلا تقوية لقلوبهم ، والمعنى الثاني: إنّ الرؤية للمشركين

(١) ينظر: التفسير المنهجي ، ١٠ / ٢٠٧.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي ، ١٥ / ٣٥.
(٣) التفسير المنهجي ، ١١ / ٣٨٤.
(٤) المصدر نفسه ، ١١ / ٢٥٤.

يعني: يرى المشركون المسلمين ضعفي ما هم عليه[١] ، وأمّا من قرأ بالتاء (ترونهم) فلا يحتمل إلّا المعنى الأول على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا وهم يهود بني قينقاع، فكأنّه قال : ترون أيها اليهود المشركين مثلي المسلمين مع أنّ الله أظهرهم عليهم فلا تغتروا بكثرتكم[٢].

٥- يشير الى استعمال القراءة كمورد لتعضيد الرأي الشرعي عند المذاهب الإسلامية؛ وذلك في آية الوضوء عند قوله تعالى ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ ، إذ بيّن أنّه عطف على الرؤوس، وأنّ من قرأ بالجرّ ذهب الى وجوب مسحهما كما وجب مسح الرأس، ومن نصبهما ذهب الى أنّه معطوف على موضع الرؤوس ؛ لأنّ موضعها نصب لوقوع المسح عليها، لكنّه حينما أراد بيان موقف الإمامية قال : (وعند الإمامية انّ المسح على ظاهر الرجلين من رؤوس الأصابع الى الكعبين)[٣] ، ولعله بهذا البيان أراد في ذلك الإشارة الى ما اشتهر عند الإمامية بعدم حجية القراءات في استنباط الحكم الشرعي [٤].

٦- يذكر القراءة دون ذكر من قرأ بها بل ينسبها بصيغة المجهول الى (البعض) ، وأكثر ذلك في القراءات الشاذة، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ ، سورة الأنعام : ١٠٥ ، قال : (وقد يقرأ بعضهم(دارست) أي ذاكرت أهل الكتاب وقارأتهم)[٥]، وهذه القراءة في الأصل مروية عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد وبعض قرأة أهل

(١) ينظر : التفسير المنهجي، ٢ / ١٦٧
(٢) المصدر السابق ، ٢ / ١٦٧-١٦٨.
(٣) ينظر: التفسير المنهجي ، ٤ / ٥٩
(٤) يقول الشيخ الآخوند الخراساني(١٣٢٩هـ): "انّ الاختلاف في القراءة بما يوجب الاختلاف في الظهور مثل "يطهرن" بالتّشديد والتّخفيف يوجب الإخلال بجواز التّمسّك والاستدلال ،..، وإنّما الثابت جواز القراءة بها ، ولا ملازمة بينهما- أي : بين جواز القراءة وجواز الاستدلال بها- كما لا يخفى " ، وفي معرض كلامه عن حجية الاستدلال بالقراءات على الحكم الشرعي يُثَبِّت السيد الخوئي (١٤١٣هـ) ما ذكره أعلام الإمَامِيّة في عدم حجية القراءات في الاستدلال على الحكم الشرعي فيقول: "ولكنّ الحق عدم حجية هذه القراءات فلا يستدل بها على الحكم الشّرعي" ينظر: كفاية الأصول، محمد كاظم الآخوند الخراساني، تعليقة الشيخ عباس علي الزارعي السبزواري ، ٢ / ٢٩٥ - البيان في تفسير القرآن، الخوئي ، ١٦٤.
(٥) التفسير المنهجي ، ٥ / ١١٧.

البصرة[1].

٧- يذكر حال القراءة في النحو ودلالتها في العربية ، ومن ذلك ماذكره في تفسير الآية ﴿ وَإِنَّ كَثِيرا لَّيُضِلُّونَ بِأَهوَآئِهِم بِغَيرِ عِلمٍ...﴾ ، سورة الأنعام: ١١٩ ، قال : ومن قرأ بضمّ الياء فيها؛ فالمُراد: أنّهم يُضلِّون أشياعهم وأتباعهم، فحذف المفعول به ، وحذف المفعول كثير في الاستعمال، ويقوّي ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلـمُجرِمُونَ ﴾ ، سورة الشعراء:٩٩ ، وكان ما يمارسه هؤلاء المشركون إضلالًا للناس بالهوى، وبغير علم، اعتداءً منهم على شريعة الله تعالى ، وافتراقًا عنها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِالـمُعتَدِينَ﴾[2].

٨- يشير أحيانًا الى القراءات المروية عن أهل البيت عليهم السلام ومنه مانقله عند قوله تعالى : ﴿ يَسَئَلُونَكَ عَنِ ٱلأَنفَالِ قُلِ ٱلأَنفَالُ للهِ وَٱلرَّسُولِ فَاتَّقُواْ ٱللهَ وَأَصلِحُواْ ذَاتَ بَينِكُم وَأَطِيعُواْ ٱللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ ﴾، سورة الأنفال : ١ ، قال : (وفي قراءة أهل البيت " يسألونك الانفال" فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ قُلِ ٱلأَنفَالُ للهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ؛ ولذلك ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللهَ وَأَصلِحُواْ ذَاتَ بَينِكُم﴾ ، ولو سألوه عن موضع الاستحقاق لم يقل لهم :اتقوا الله)[3] ، ويظهر أنّ الدكتور الصغير اعتمد في نقله لهذه القراءة على ما ذكره الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ) في تفسير التبيان [4].

وعند قوله تعالى : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِل يَاسِينَ﴾، سورة الصافات: ١٣٠، أشار الى أنّها القراءة المشهورة وأنّ هناك قراءة أخرى تدلّ على أنّ المقصود منها آل محمد ، ثمّ ذكر مايدلّ على ذلك ، فقال : و في قراءة: (أَل ياسين) فهم آل محمدﷺ، ففي معاني الأخبار: بإسناده عن قادح، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليّ في قول الله عزّ وجلّ : ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِل يَاسِينَ﴾ ، قال: ياسينﷺ، ونحن آل ياسين[5].

(١) ينظر: تفسير الطبري ، ١٢ / ٢٦.
(٢) التفسير المنهجي ، ٥ / ١٣٤-١٣٥.
(٣) المصدر نفسه ، ٦ / ١٥.
(٤) ينظر: التبيان ، ٥ / ٧٢
(٥) التفسير المنهجي ، ١٣ / ١٨٨. والرواية في معاني الاخبار، الصدوق ،١٢٢.

٩- ينقل ماورد من قراءات الصحابة في فضل أهل البيت عليهم السلام ، كما في قوله تعالى ﴿ وَكَفَى اللهُ الـمُؤمِنِينَ القِتَالَ﴾ ، سورة الأحزاب: ٢٥ ، فنقل عن الحاكم ، بالإسناد عن سفيان الثوريّ ، عن زبيد الثاني ، عن مرّة، عن عبد الله بن مسعود، قال: كان يقرأ: (وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ)[١]، وفي مقام آخر بينّ أنّ هذه القراءة في مصحف ابن مسعود ، فقال : (وقيل - وهو الصحيح فضلًا عمّا تقدّم : إنّ الله كفى المؤمنين القتال بعليّ عليه السلام وهي قراءة ابن مسعود في مصحفه)[٢].

الخاتمة

يمكن تلخيص أبرز نتائج البحث بالنقاط التالية:

١- رصد البحث أنّ الدكتور الصغير يُرجِعُ جُزءا كبيرا من اختلاف القراءات الى خط المصحف القديم ، كونه محتملا للنطق بوجوه متعددة.

٢- انكشفَ للبحث عدم قبول الدكتور الصغير بالرأي القائل بارتباط الأحرف السبع بالقراءات القرآنية.

٣- ظهر للبحث أنَّ منهج الدكتور في عرض القراءات هو الابتداء باتفاق واختلاف السبعة ، ثمّ يذكر القراءة الشاذة إن وجدت ويذكر بعدها ترجيح علماء الإمامية لأحد القراءات-إن توفر-.

٤- تبيّن للبحث أنّه ﷺ يذكر رأيه وترجيحه للقراءة فيما رجح عنده ، ويتوقف عن بيانه لرأيه إذا لم تظهر عنده الحجة في ذلك.

(١) ينظر: التفسير المنهجي ، ١٢ / ٢٣٧.
(٢) التفسير المنهجي ، ١٢ / ٢٥٦.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م) .

٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق ،صدقي محمد جميل ،الناشر، دار الفكر ،بيروت-لبنان ،١٤٢٠هـ .

٣. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر، دار إحياء الكتب العربية، بيروت-لبنان ، (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م) .

٤. البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي(ت١٤١٣هـ)، الناشر، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت – لبنان، (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) .

٥. تاريخ القرآن، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان،١٤٢٠ / ١٩٩٩.

٦. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠هـ)، تحقيق، أحمد قصير العاملي ، الناشر، دار إحياء التراث العربي ، بيروت -لبنان .

٧. التفسير المنهجي للقرآن العظيم ، محمد حسين الصغير، العتبة العباسية ،كربلاء-العراق.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن ،أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري(ت٣١٠هـ) ، تحقيق، أحمد محمد شاكر ، الناشر، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م) .

٩. دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي، صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد، بيروت -لبنان (١٩٧٢م).

١٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.

١١. القراءات المنسوبة لائمة أهل البيت ﷺ وآثارها (رسالة ماجستير)، مؤمل جواد كاظم، جامعة الكوفة/ كلية الفقه ٢٠١٥م.

١٢. القراءات واللهجات ، عبد الوهاب حموده ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨-١٣٦٨هـ.

١٣. كفاية الأصول، محمد كاظم الآخوند الخراساني، تعليقة الشيخ عباس علي الزارعي السبزواري، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة السادسة، قم-ايران.

١٤. لهجة القرآن الكريم ، جواد علي ، مقال منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ١،١مارس ١٩٥٤.

١٥. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي ، بيروت-لبنان-١٤٢٠-٢٠٠٠م.

١٦. مذاهب التفسير الإسلامي ، جولد تسيهر- ترجمة ، عبد الحليم النجار الناشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة -مصر،١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

١٧. معاني الأخبار ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق(ت٣٨١هـ) ، تصحيح وتعليق ، علي أكبر الغفاري ، الناشر ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ،قم-ايران ، (١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش) .

١٨. منجد المقرئين ومرشد الطالبين ،أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، الناشر، دار الكتب العلمية ، (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م) .

١٩. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري ، الطبعة الثانية ،الناشر، دفتر سماحة آية الله العظمى السبزوارى، ١٤٠٩هـ.

٢٠. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢هـ) ،الناشر،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم ،الطبعة الخامسة ، قم-ايران ،١٤١٧ هـ .

٢١. وسيلة الوصول إلى حقائق الأصول، تقرير بحث الأصفهاني للسبزواري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم -ايران، صفر المظفر ١٤١٩.

٢٢. بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، أشرف على طبعه وتصحيحه ، محمد عبد الحكيم الموسوي البكاء، ١٤٢٥ - ٤٢٠٠ م.

بسم الله الرحمن الرحيم
إنه من سليمان وإنه